والاستفهام للإنكار . وقدم المفعول الأول ل (أتخذ) على الفعل وفاعله ليكون مواليا للاستفهام لأنه هو المقصود بالإنكار لا مطلق اتخاذ الولي . وشأن همزة الاستفهام بجميع استعمالاته أن يليها جزء الجملة المستفهم عنه كالمنكر هنا فالتقديم للاهتمام به وهو من جزئيات العناية التي قال فيها عبد القاهر أن لا بد من بيان وجه العناية وليس مفيدا للتخصيص في مثل هذا لظهور أن داعي التقديم هو تعيين المراد بالاستفهام فلا يتعين أن يكون لغرض غير ذلك . فمن جعل التقديم هنا مفيدا للاختصاص أي انحصار إنكار اتخاذ الولي في غير ا كما مال إليه بعض شراح الكشاف فقد تكلف ما يشهد الاستعمال والذوق بخلافه وكلام الكشاف بريء منه بل الحق أن التقديم هنا ليس إلا للاهتمام بشأن المقدم ليلي أداة الاستفهام فيعلم أن محل الإنكار هو اتخاذ غير ا وليا وأما ما زاد على ذلك فلا التفات إليه من المتكلم . ولعل الذي حداهم إلى ذلك أن المفعول في هذه الآية ونظائرها مثل (أفغير ا تأمروني أعبد أغير ا تدعون) هو كلمة (غير) المضافة إلى اسم الجلالة وهي عامة في كل ما عدا ا فكان ا ملحوظا من لفظ المفعول فكان إنكار اتخاذ ا وليا لأن إنكار اتخاذ غيره وليا مستلزما عدم إنكار اتخاذ ا وليا لأن إنكار اتخاذ غير ا لا يبقى معه إلا اتخاذ ا وليا ؛ فكان هذا التركيب مستلزما معنى القصر وآئلا إليه وليس هو بدال على القصر مطابقة ولا مفيدا لما يفيده القصر الإضافي من قلب اعتقاد أو إفراد أو تعيين ألا ترى أنه لو كان المفعول خلاف كلمة (غير) لما صح اعتبار القصر كما لو قلت : أزيدا أتتخذ صديقا لم يكن مفيدا إلا إنكار اتخاذ زيد صديقا من غير التفات إلى اتخاذ غيره وإنما ذلك لأنك تراه ليس أهلا للصداقة فلا فرق بينه وبين قولك : أتتخذ زيدا صديقا إلا أنك أردت توجه الإنكار للمتخذ لا للاتخاذ اهتماما به . والفرق بينهما دقيق فأجد فيه نظرك .

ثم إن كان المشركون قد سألوا من النبي صلى ا عليه وسلم أن يتخذ أصنامهم أولياء كان لتقديم المفعول نكتة اهتمام ثانية وهي كونه جوابا لكلام هو المقصود منه كما في قوله (أفغير ا تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقوله (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة إلى قوله قال أغير ا أبغيكم إلها) . وأشار صاحب الكشاف في قوله (أغير ا أبغى ربا) الآتي في آخر السورة إلى أن تقديم (غير ا) على (أبغي) لكونه جوابا عن ندائهم له إلى عبادة آلهتهم . قال الطيبي : لأن كل تقديم إما للاهتمام أو لجواب إنكار .

والولي : الناصر المدبر ففيه معنى العلم والقدرة . يقال : تولى فلانا أي اتخذه ناصرا . وسمي الحليف وليا لأن المقصود من الحلف النصرة . ولما كان الإله هو الذي يرجع إليه عابده

سمي وليا لذلك . ومن أسمائه تعالى الولي .

والفاطر : المبدع والخالق . وأصله من الفطر وهو الشق . وعن ابن عباس : ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها . وإجراء هذا الوصف على اسم الجلالة دون وصف آخر استدلال على عدم جدارة غيره لأن يتخذ وليا فهو ناظر إلى قوله في أول السورة (الحمد الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) . وليس يغني عنه قوله قبله (قل لمن ما في السماوات والأرض قل) لأن ذلك استدلال عليهم بالعبودية وهذا استدلال بالافتقار إلى ا في أسباب بقائهم إلى أجل .

وقوله (وهو يطعم) جملة في موضع الحال أي يعطي الناس ما يأكلونه مما أخرج لهم من الأرض : من حبوب وثمار وكلأ وصيد . وهذا استدلال على المشركين بما هو مسلم عندهم لأنهم يعترفون بأن الرازق هو ا وهو خالق المخلوقات وإنما جعلوا الآلهة الأخرى شركاء في استحقاق العبادة . وقد كثر الاحتجاج على المشركين في القرآن بمثل هذا كقوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون أ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) .

A E